



مؤتمر  
هدايات القرآن في بناء الإنسان

## عنوان البحث:

الهدايات القرآنية الواردة في تحقيق  
التعايش السلمي بين الشعوب والقبائل

## اسم الباحث/ة

د/ مبارك إبراهيم التجاني حسب الله





جمعية القلم  
للدراستات والأبحاث



مؤتمر



وقف مركز تكملة العالمي  
للمعهد القرآني

هدايات القرآن في بناء الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد و  
علي آله و صحبه اجمعين

**أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

إن العالم يضح اليوم بالفتن والاعتداءات والحروب بين القبيلة والأخرى وبين  
الطائفة والطائفة، وبين البلد والأخر وما يجري في السودان واليمن وغزة وفي  
دول أخرى مثال حي لذلك

فاخترت البحث في هذا الموضوع منطلقاً من القرآن الكريم ايماناً مني بأننا متى  
ما رجعنا للقران الكريم انحلت عقدنا، وانصلح شأننا وتحققت الحياة الطيبة في  
الدنيا والأخرة ان شاء الله.

**الأهداف العامة:**

١. بيان أن اختلاف الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف والتعاون والتراحم  
وليس للمباهاة والمفاخرة واحتقار الآخرين والاعتداء والاحتراب.
٢. بيان أن اختلاف الألسنة والألوان لحكمة عظيمة .
٣. بيان عاقبة التعصب القبلي المذموم.
٤. بيان تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته للقبيلة عملياً الى الرحاب  
الأوسع في اطار الأمة الواحدة

**الدراسات السابقة:**

تناول الموضوع عدد من الباحثين ولكن هذا البحث يرتب الموضوع ترتيباً  
خاصاً و يتناوله تناولاً خاصاً انطلاقاً من القرآن الكريم و بياناً للهدايات  
القرآنية الواردة في ذلك.

**أسئلة البحث:**

ما هو مفهوم الشعوب و القبائل ؟ كيف اعترف الاسلام بالقبيلة ؟ و كيف  
وجهها التوجيه الايجابي ؟ و كيف اعتبرها نواة للأمة الواحدة ؟

متى يكون التعصب القبلي مذموماً و ماهي العاقبة؟ متى يتجاوز الانسان القبيلة و ماهي المعالجات النبوية و النماذج العملية للصحابة في ذلك  
خطة البحث:

يتكون من مقدمة، وثلاثة مباحث.

تناولت في كل بحث ثلاثة موضوعات ثم ختمته بأهم النتائج و التوصيات.  
المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره والأهداف العامة و الدراسات السابقة وخطة البحث:

المبحث الأول: دلالات ومفاهيم: فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: مفهوم الهدايات القرآنية لغة واصطلاحاً.

المسألة الثانية: دلالة لفظي الشعوب والقبائل.

المسألة الثالثة: معني التعايش السلمي .

المبحث الثاني: الاعتراف بالقبيلة والتوجيه الإيجابي لها: فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاعتراف بالقبيلة وجعلها لبنة في إطار الأمة الواحدة.

المطلب الثاني: إقرار ورعاية ما هو طيب من أعراف القبيلة:

المطلب الثالث: التعايش السلمي بين الشعوب والقبائل.

المبحث الثالث: العصبية القبلية المذمومة: فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العصبية القبلية المذمومة وصورها.

المطلب الثاني: محاولات الأعداء للاستفادة من القبيلة في تفتيت وحدة الأمة.

المطلب الثالث: المعالجات النبوية والنماذج العملية لتجاوز القبيلة.

الخاتمة. وتشمل أهم النتائج و التوصيات:

## المبحث الأول : دلالات ومعاني مفردات العنوان

### المسألة الأولى: مفهوم الهدايات القرآنية لغة واصطلاح

#### أولاً: مفهوم الهدايات في اللغة:

قال ابن فارس<sup>(١)</sup> : الهاء والdal والحرف المعتل: أصلان أحدهما: التَّقَدُّمُ لِلإِزْشَادِ، وَالآخِرُ بَعَثَةٌ لَطْفٍ "ومنه قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَي تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشَادِهِ"<sup>(٢)</sup>. وهي جمع هداية، وهي من الهُدَى، بضم الهاء وفتح الdal من هَدَاهُ هُدًى وَهَدِيًّا وَهِدَايَةً وَهِدْيَةً، بكسرهما: أُرْشَدُهُ<sup>(٣)</sup>. و"الهُدَى: الرِّشَاؤُ وَالدَّلَالَةُ"<sup>(٤)</sup>. والهُدَى: يُؤْتَتْ وَيُدَكَّرُ، يقال: هو على الهُدَى، وسل الله الهُدَى: أي الدَّلَالَةُ عَلَى الرِّشَادِ. والهُدَى: النَّهَارُ أَيْضاً<sup>(٥)</sup>.

والهادي من أسماء الله تعالى، قال الزجاج: الهادي: هو الذي هدى خلقه

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني، الرازي، اللغوي (٣٩٥هـ)، كان رأساً في الأدب، له مصنفات، منها: "مقاييس اللغة" و"جامع التأويل في تفسير القرآن". يُنظر: معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله، الرومي، الحموي (٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب، ط. الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ١/١٢٢ وسير النبلاء، محمد بن أحمد، الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١٧/١٠٣ والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي، الدمشقي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط. الخامسة عشر، ١/١٩٣.

(٢) يُنظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني (٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٢/٦).

(٣) يُنظر: القاموس المحيط، مجد الدين، محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص: ١٣٤٥).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر، إسماعيل بن حماد، الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة، ١٤٠٧هـ -

١٩٨٧م، (٦/٢٥٣٣).

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٣/٦).

إلى معرفته وربوبيته وهو الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم<sup>(١)</sup>

ثانياً: مفهوم الهدايات القرآنية في الاصطلاح:

التعريف الاصطلاحي للهدايات القرآنية له اعتباران:

**الاعتبار الأول:** باعتبار موضوعها وهو "الدلالة المبيّنة لإرشادات القرآن الكريم التي تُوصل إلى كل خير وتُمنع من كل شر"<sup>(٢)</sup> حيث جعلت الدلالات هي التي تسوق لبيان الهدايات، والهدايات لا بد أن تحقق الوصول إلى الخير، أو تمنع من الشر، وهو مصطلح يتجه بالمعاني نحو الغايات التي هي ثمرة فهم المعنى، وهو يبدأ من حيث يقف علم التفسير الذي اقتصر فيه غالباً في بيان المعاني<sup>(٣)</sup>. فهو مرتبط بالمعنى اللغوي، ويُبنى عليه لفظاً ومعنى، ففيه دلالة وبيان وإرشاد ومعرفة بشيء وإيصال معنى إلى غاية وقصد ووجهة، وكلها سبق الحديث عنها في المعنى اللغوي للهداية.

**الاعتبار الثاني:** تعريف الهدايات باعتبار صنعتها:

فهي منهج علمي لاستخراج الإرشادات القرآنية الظاهرة الخفية التي توصل لكل خير وتُمنع من كل شر.

**المسألة الثانية: دلالة لفظي الشعوب والقبائل:**

**أولاً: مفهوم الشعب والقبيلة:**

قال صاحب روح المعاني: في قوله تعالى: ( وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ )

الشعوب جمع شعب، بفتح الشين وسكون العين، وهم الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل وأحد، وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر، بفتح العين وقد تكسرو العمائر تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل،

(١) الأسماء الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (٦٤) .

(٢) الهدايات القرآنية (دراسة تأصيلية)، أ.د طه عابدين وآخرون (١/٤٤).

(٣) ُرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تطبيقية تأصيلية أ.د طه

عابدين طه مكتبة المتنبي ط ١٤٤١ هـ ص: ١٥ .

فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها، وهذا هو الذي عليه أكثر أهل النسب واللغة<sup>(١)</sup>

أما القبيلة: فقد قال الزجاج: القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام: كالسبط من ولد إسحاق عليه السلام ، سمو بذلك ليفرق بينهما ، ومعنى القبيلة من ولد إسماعيل : معنى الجماعة ، يقال لكل جماعة من واحد : قبيلة .

ويقال لكل جمع على شيء واحد: قبيل، قال الله تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم). واشتق الزجاج القبائل: من قبائل الشجرة، وهي أغصانها. والقبيلة: اسم فرس ، سميت بذلك على التفاؤل ، كأنها إنما تحمل قبيلة ، أو كأن الفارس الذي عليها )

يقوم مقام قبيلة، والقبيل: الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالزنج والروم والعرب، وقد يكونون من نحو واحد<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الفرق بين الشعوب والقبائل:

حكى أبو عبيد عن ابن الكلبي عن أبيه تقديم الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم الفخذ فأقام الفصيلة مقام العمارة والعمارة مقام الفصيلة في ذكرها قبل الفخذ ولم يذكر ما يخالفه، وقيل: الشعوب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل، وأيد كون الشعوب في العجم ما في حديث مسروق أن رجلا من الشعوب أسلم فكانت تؤخذ منه الجزية فإن الشعوب فيه فسرت بالعجم لكن قيل: وجهه على ما تقدم أن الشعب ما تشعب منه قبائل العرب والعجم فخص بأحدهما، ويجوز أن يكون جمع الشعوبي وهو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم كيهود ومجوس في جمع

(١) روح المعاني، الألويسي(٣١٣/١٣).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٣٠/٦).

المجوسي واليهودي، ومنهم أبو عبيدة وكان خارجياً وقد ألف كتاباً في مثالب العرب، وابن غرسية وله رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب، وقد رد عليه علماء الأندلس برسائل عديدة<sup>(١)</sup>

وقيل: الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل ربيعة ومضر وسائر عدنان، وقال قتادة ومجاهد والضحاك الشعب النسب الأبعد، والقبيلة الأقرب، وقيل: الشعوب الموالي والقبائل العرب، وقال أبو روق: الشعوب الذين ينتسبون إلى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم<sup>(٢)</sup>

### المسألة الثالثة: معنى التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح:

#### أولاً: التعايش في اللغة:

التعايش لغة: (عيش) العين والياء والشين أصل صحيح يدل على الحياة والبقاء معاش فالعيش والحياة والمعيشة اسم لما يعاش به وكل شيء يعاش به أو فيه فهو<sup>(٣)</sup> قال تعالي (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا): أي ملتمساً للعيش. والتعايش منها عايش عاش معه، وأعاشه جعله يعيش يقال: أعاشه الله عيشة راضية، وتعايشوا أي عاشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش على وزن تفاعل أي: عاش بعضهم مع بعض، وهذه الصيغة تدل بالدلالة على عدم الاستغناء بتفاعل واحد فتعايش تدل على اشراك الواحد مع الآخر وجواز أسنادها الى معموليهما باستعمال (مع) أي تعايش مع) أو (الباء) أي (تعايش بالسلم: السلامة والسلام: وهو في الأصل البراءة من العيب والآفات: السلام من أسماء

(١) مجمع بحار الانوار، مجلد ٣، ص ٢٢١.

(٢) انظر: أسس التعايش السلمي في الإسلام ومرتكزاته، عبد الله بن عبد العزيز المصلح،

رابطة العالم الإسلامي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة بجمهورية

سيرلانكا: ص: ٤ د.٥



الله تعالى، وسمي الله بذلك لسلامته من النقص والعيب والفناء<sup>(١)</sup> واختار ومنه تقول: سلم من الآفة سلامة وسلاما إذا نجا، والسلم: الصلح، تقول: أنا مسلم سالمى، وقد أمر الله المؤمنين بالدخول في السلم كافة قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) أي في جميع الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره والسلمي وصف مؤكد لطبيعة التعايش، وهذا على فرض أن هناك تعايشاً غير سلمى.

### ثانياً: معنى التعايش السلمي في الاصطلاح:

ذكر العلماء المعاصرون مجموعة من التعريفات للتعايش منها:

أنه اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين تربطهم وسائل العيش المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى يؤدي كل منهم حق الآخر دون اندماج بينا وبين غير المسلمين المقيمين بيننا من أهل الذمة، فيما يعرف الآن بالتأشيرة وبيننا وبين المعاهدين الذين دخلوا بلادنا بعهد.

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نعرف التعايش المطلوب بأنه: التعايش بين مجموعة مختلفة في الدين أو اللون أو القومية.<sup>(٢)</sup> فلا يعني السلم الاجتماعي بالضرورة إزالة جميع الاختلافات بين أفراد المجتمع ومؤسساته وإجماع جميع هذه الأطراف على نفس القرار والرغبات، بل يعني إدارة القرارات بما يحقق أفضل مصلحة مشتركة لجميع الأطراف.<sup>(٣)</sup>

(١) الوسائل الاقتصادية، صبحي أفندي الكبيسي الجامعة العرقية - كلية أصول الدين، ص ٨  
(٢) انظر: أسس التعايش السلمي في الإسلام ومرتكزاته، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، رابطة العالم الإسلامي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة بجمهورية سيرلانكا: ص: ٤ د ٥  
(٣) السلم الاجتماعي، نافع عبد المجيد القاهرة دار الفكر، ص ٩.

## المبحث الثاني: الاعتراف بالقبيلة والتوجيه الإيجابي لها

المطلب الأول: الاعتراف بالقبيلة وجعلها لبنة في إطار الأمة الواحدة:

اعترف الدين الاسلامي بالقبيلة من غير استعلاء واحتقار للآخرين وأكد على وحدتها في اطار وحدة الأمة التي أصلها واحد كما بين القرآن الكريم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١ .

الناظر إلى هذه الآية يخرج بهدايات عظيمة أبرزها:

١. السورة براءة استهلال بما يتناسب مع أغراض السورة ومقاصدها التي منها مقصد بناء المجتمع السليم والقوي.
  ٢. تفييد ذم الكبر والعلو على الآخرين ما دام الجميع قد خلقوا من نفسٍ واحدةٍ.
  ٣. تفييد براءة الصانع، إذ إن الأصل واحدٌ، والنتائج متنوعٌ في الأجناس، والأصناف، والألوان، والألسن.
  ٤. تفييد أنه لا تفاضل بين الناس في أصل الخلق والمنشأ، وأن استقرار هذه الحقيقة كفيل باستبعاد الصراع العنصري الذي ذقت منه البشرية ما ذقت، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة؛ في الجاهلية الحديثة، التي تفرق بين الألوان، وتفرق بين العناصر، وتقيم كيانها على أساس هذه التفرقة<sup>(١)</sup>.
- إذاً الاسلام يعترف بالقبيلة ويوجهها التوجيه الايجابي فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يراعي ما للنظم القبيلية من طقوس وعادات، ويحترم الأحلاف التي كانت بين الناس في الجاهلي، ويمنح العفو على أساسها،

(١) الجامع للهدايات سورة النساء الجزء الأول ص ٦.

كما في قصة بني قينقاع حين نقضوا عهدهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخافوا عقابه فأتاه عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وقال له: " أحسن في موالي، منعوني يوم بُعَاثٍ"،<sup>(١)</sup> فتركهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجلأهم عن المدينة<sup>(٢)</sup>. ونراه في غزوة بني قريظة وقد اجتمعت عليه الأوس يطلبون منه العفو عن حلفائهم بني قريظة كما فعل لابن أبي في أحلافه بني قينقاع قائلين: " يا رسول الله، حلفاؤنا دون الخزرج، وقد رأيت ما صنعت بني قينقاع بالأمس حلفاء ابن أبي، حتى قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ " <sup>(٣)</sup>.

هذه المراعاة للنظم الاجتماعية القبلية كانت سبباً في تأليف قلوب بعض العرب للإسلام، فهذا هو - صلى الله عليه وسلم - يأمر بقطع أعناب ثقيف حين حاصروهم فطلبوا من أبي سفيان والمغيرة بن شعبة أن يكلموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا: " فليأخذها لنفسه، أو ليدعه الله والرحم، فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل"، فتركه لهم.

كذلك رده غنائم هوازن بعد هزيمتها يوم حنين حينما جاءه وفدها مسلمين فقالوا: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ،<sup>(٤)</sup> وقد أصابنا من البلاء مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَأَمْنُنْ عَلَيْنَا"<sup>(٥)</sup>، فرد عليهم السبي من النساء والذرية تقديراً لمكانتهم. وكانت قريش على ما بها من كفر تراعي حق القرابة من رسول الله - عليه الصلاة والسلام - حسب أعراف القبائل العربية، فنحن نجد عتبة بن

(١) يوم بعث، يوم من أيام العرب في الجاهلية، وهي معركة بين الأوس والخزرج.

ابن هشام، مصدر سابق: ٢/ ٤٨٤.

(٢) الواقدي محمد بن عمر، المغازي، عالم الكتب-بيروت، تحقيق: مارسدن جونس، ١/ ١٧٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ص ١٠.

(٤) يقصدون بذلك مكانتهم عند العرب ووزنهم القبلي.

(٥) ابن هشام: ٢/ ٤٨٨.

ربيعة وهو من بني عبد شمس وهم مع بني هاشم أبناء عم، يلتقون في عبد مناف، وهم أقرب من بقية بيوتات قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم-، يقول عتبة عن أبي جهل حينما اختلفوا في أمر الرجوع عن قتال يوم بدر: " هذا رجل مشئوم- يقصد أبا جهل -، وإنه لا يمسه من قرابة محمد ما يمسننا"، ويقول لقومه محاولاً إقناعهم بالرجوع: " لئن كان محمد صادقاً إنا لأسعدُ العرب به، إنا للْحَمْتُهُ " (١) ونجد أبا جهل يرد على عتبة ويبين أن قرار الرجوع عن القتال بسبب القرابة القبلية بين عتبة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم-، يقول أبو جهل: "يكره أن يقتل ابنه، وابن عمه" (٢). كذلك يبين اعتراف النبي صلى الله عليه وسلم بالقبيلة في وثيقة المدينة التي تؤسس للمجتمع المتصالح المتسام المتعافي .

فقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثيقة كدستور يضبط العلاقة بين الاطراف جميعا مهاجرين وأنصار مسلمين وأهل كتاب ومشركين وهذا جزء من نصها:

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش و(أهل) يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم- أنهم أمة واحدة من دون الناس- المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين- وبنو عوف على رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين- وبنو ساعدة على رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الحارث (بن الخزرج) على رِبْعَتِهِمْ

(١) المرجع السابق ٤٢/١ .

(٢) الزهري محمد بن مسلم، المغازي النبوية، دار الفكر العربي -دمشق، ١٩٨٠، ص:٦٤

يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو جشم على رُبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النجار على رُبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عمرو بن عوف على رُبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على رُبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الأوس على رُبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وأن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم، أو ابتغى دسياسة ظلم، أو إثماً، أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه، جميعاً ولو كان ولد أحدهم.

**ف نجد أن البنود من البند الأول إلى البند الحادي عشر تتعلق بالقبيلة ومبدأ التعاون والتكافل بينها، ولكن كل ذلك تحت شعار "أمة واحدة"، ومازالت الطبقة فجعلت حق الإجارة حتى لأصحاب المرتبة الأدنى اجتماعياً فيهم بقوله: "يجير عليهم أديانهم"، وجعلت القصاص من اختصاص ولي الأمر، وأن القصاص يكون على الجاني دون بقية أهله " لا يؤخذ إنسان بذنب غيره"، إلى غير ذلك من التفاصيل الرائعة في هذه الوثيقة. (١)**

**إن هذه التركيبة القديمة للمجتمعات المتمثلة في وحدة القبيلة رغم ما فيها من مساوئ فإنها تنطوي على خير وفائدة، تتمثل في التكافل الاجتماعي بين أفرادها، هذا إن حَسُنَّت النيات والمقاصد، ونُجِد في الشريعة الإسلامية عدة صور لهذا التوظيف الخَيْر للقبيلة منها:**

(١) ابن هشام: ص ٥٠١.

أولاً: العاقلة: لفظة تطلق على من يتحمل الدية عن القاتل في قتل الخطأ؛ جاء في معاجم اللغة: "العقل: الدية، وعقل عن القتل: أدى عنه دية، ومن كلام العرب: دمه معقولة على قومه، أي غرم يؤدونه من أموالهم، والمعقل: الديات<sup>(١)</sup>. وعاقلة الرجل: عصبته، وهم القرابة من الأب الذين يعطون دية من قتله خطأ"<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى بدية المرأة على عاقلتها،<sup>(٣)</sup> وذلك في قضية امرأة قتلت أخرى قتل خطأ. فالعاقلة نظام تكافل اجتماعي تتحمل فيه قبيلة الرجل الدية الملزم بها، كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام ونظمها ليتعاون أبناء القبيلة الواحدة على الخير.

ثانياً: القسامة: نظام عرفه العرب في الجاهلية وأقره الإسلام، روى مسلم في صحيحه عن رجل من الأنصار أنه قال: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية)<sup>(٤)</sup>. والقساممة أنه حينما يوجد قاتل في أرض قبيلة ما فإما أن يحلف خمسون رجلاً من قبيلة القاتل على أن القاتل فلان، أو أن يحلف خمسون رجلاً من القبيلة التي وُجد بها القاتل أنهم ما قتلوه.

ثالثاً: الحماية: واجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عداءً ورفضاً اقترن بالاعتداء والأذى من قريش خاصة ومن غيرهم من العرب عامة، وهو أمر ساء عشيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأيقظ فيهم نار الحمية والعصبية

(١) التليسي خليفة محمد، النفيس من كنوز القواميس، اللجنة الشعبية العامة للثقافة-

ليبيا، ٢٠٠٧م، ٣/ ١٥٣٧.

(٢) الرازي محمد، مختار الصحاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص: ٤٤٧.

(٣) المنذري، مصدر سابق، ص: ١٠٣٢.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٧٥.

التي تلزمهم بالحماية والدفاع عن أي فرد ينتسب إليهم بدم أو حلف؛ لذا نرى أن إسلام حمزة خفف من الأذى عن النبي وأتباعه، كذلك فإن صمود أبي طالب - رغم كفره - ودفاعه عن ابن أخيه مع بقية بني هاشم كان حمية ونخوة قبلية، قائلاً لكفار قريش<sup>(١)</sup>:

**رابعاً: التجمع والتعاقد:** وهما مقصد إسلامي، يسهم في تقليل الفرقة والتباعد، بحيث لا يحصل تجاف وتشردم، وهذا شكل هام في فلسفه القبيلة وتطلعها قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

وهذا التجمع لا يُلغي التجمع تحت مظلة الوطن، ولا يُلغي الثقافة العامة للوطن وتراثه وفكره ولا يكون في العصبية الجاهلية كما قال القائل:  
لا يسألون أخاهم حين يندبهم\* في النائبات على ما قال برهانا<sup>(٢)</sup>  
وفي الحديث (ليس منا من دعا الى عصبية)<sup>(٣)</sup>، أما في النهج الإسلامي فيسألون ويستثبتون هل النصره في محلها، أم لشأن تعاد وفساد.

**خامساً: التحاب:** وهو مقدمة المحبة والتألف، وصناعة الإخاء الذي عظمه الإسلام وأشاد به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْحَابُ بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأولي الناس بسن ذلك سادة الناس وزعماءهم وهم يرضون ويغفرون ويتوادون كما قال القائل:  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم\* وليس زعيم القوم من يحمل الحقد<sup>(٤)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، بدون دار نشر، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلي، ١/ ٢٧٥.

(٢) قاله الفندئ الرماني في حرب البسوس

(٣) أخرجه أبي داود في سننه باب العصبية رقم (٥١٢٣) (٤/٤٩٤).

(٤) ديوان الحماسة المقنع الكندي (٣٨/٢)

**سادساً: التنسيق :** تحسباً لكل موقف أو كرب يستحق الاجتماع ، وتوزيع المهام والصدور عن رأي محدد لتضييق نطاقات الاختلاف ، ويستطاب ذلك بانتخابات عاجلة يختار فيها مجلس تنسيقي له رئيس وأمين صندوق وما شاكله ، ويُحدد بفترة زمنية معقولة .

**سابعاً: التراحم:** وهو نتيجة طبيعية للتجمع والتحاب، إن يحصل تراحم بين البيت الواحد ، والفريق الواحد لما بينهم من اخوة الإسلام والتقارب والرحم (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) (١) كما في الحديث، وحديث الجسد الواحد .

**ثامناً: التواصل:** حيث يعقب ذلك تزاور وسؤال وتفقد للأحوال ومشاركة في الافراح والاتراح كما في الحديث (من عاد مريضاً أو زار أحماً له في الله ناه مناد أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوات من الجنة منزلاً) (٢).

**تاسعاً: التمويل:** والمراد صناديق الديات والدماء وما يضم لذلك كاللقاءات السنوية وليالي المعايذة ، ومناسبات الضيافة ، والتي ينبغي ان تدار من مجالس منتخبة موثوقة ، ترعاها بصدق وعناية .

**عاشراً: التناصح:** لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ آل عمران: ١٠٤ ، وقد صح قوله عليه الصلاة والسلام ( الدين النصيحة ) (٢) وخير وأولي من ينصح المسلم له قبيلته وعشيرته قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤

(١) أخرجه الترمذي(٢٠٠٨)، وابن ماجة (١٤٤٣)، واحمد(٨٣٢٥) باختلاف يسير،

المصدر صحيح الجامع ص٦٣٨٧.

(٢) اخرجه مسلم (٥٥) واخرجه ابو داود في كتاب الادب، باب في النصيحة (٤٩٤٤)



ولا ارتياب أنه سيعقب ذلك انضباط اجتماعي، لا سيما عند اتحاد الأعيان ، وسمو المشيخة إلى حد المهابة والتأثير ، كما سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه في قصة اسلام قومه ، وتطوير بنود العقبة في غزوة بدر، وكذلك الخندق .

### المطلب الثاني: إقرار ورعاية ما هو طيب من أعراف القبيلة:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٢ . وهذا التجمع لا يلغي التجمع تحت مظلة الوطن ، ولا يلغي الثقافة العامة للوطن وتراثه وفكره ولا يكون في العصبية الجاهلية كما قال القائل:

لا يسألون اخاهم حين يندبهم \* في النائبات على ما قال برهانا<sup>(١)</sup>

وفي الحديث (ليس منا من دعا الى عصبية) <sup>(٢)</sup> ، أما في النهج الإسلامي فيسألون ويستثبتون هل النصر في محلها ، أم لشأن تعاد وفساد.

خامسا التحاب : وهو مقدمة المحبة والتألف ، وصناعة الإخاء الذي عظمه الإسلام وأشاد به ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: ١٠ ، وأولي الناس بسن ذلك سادة الناس وزعماءهم وهم يرضون ويغفرون ويتوادون كما قال القائل :

ولا أحمل الحقد القديم عليهم \* وليس زعيم القوم من يحمل الحقدا <sup>(٣)</sup>

سادساً: التنسيق: تحسباً لكل موقف أو كرب يستحق الاجتماع ، وتوزيع المهام والصدور عن رأي محدد لتضييق نطاقات الاختلاف ، ويستطاب ذلك بانتخابات عاجلة يختار فيها مجلس تنسيقي له رئيس وأمين صندوق وما شاكله ، ويُحدد بفترة زمنية معقولة .

(١) قاله الْفَيْئِدُ الرَّمَّانِي فِي حَرْبِ الْبُسُوس

(٢) أخرجه أبي داود في سننه باب العصبية رقم (٥١٢٣)(٤/٤٩٤).

(٣) ديوان الحماسة المقنع الكندي (٣٨/٢).

سابعاً: التراحم: وهو نتيجة طبيعية للتجمع والتحاب ، إن يحصل تراحم بين البيت الواحد ، والفريق الواحد لما بينهم من أخوة الإسلام والتقارب والرحم (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)<sup>(١)</sup> كما في الحديث وحديث الجسد الواحد .

ثامناً: التواصل: حيث يعقب ذلك تزاور وسؤال وتفقد للأحوال ومشاركة في الافراح والاتراح كما في الحديث (من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناده مناد أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً) <sup>(٢)</sup> .

تاسعاً: التمويل: والمراد صناديق الديات والدماء وما يضم لذلك كاللقاءات السنوية وليالي المعايدة ، ومناسبات الضيافة ، والتي ينبغي ان تدار من مجالس منتخبة موثوقة ، ترعاها بصدق وعناية .

عاشراً: التناصح: لقوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> آل عمران: ١٠٤ ، وقد صح قوله عليه الصلاة والسلام ( الدين النصيحة ) <sup>(٣)</sup> وخير وأولي من ينصح المسلم له قبيلته وعشيرته قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> الشعراء: ٢١٤ ولا ارتياب انه سيعقب ذلك انضباط اجتماعي، لا سيما عند إتحاد الأعيان ، وسمو المشيخة إلى حد المهابة والتأثير ، كما سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه في قصة اسلام قومه ، وتطوير بنود العقبة في غزوة بدر، وكذلك الخندق.

(١) أخرجه الترمذي(٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، واحمد(٨٣٢٥) باختلاف يسير،

المصدر صحيح الجامع ص٦٣٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الادب، باب في النصيحة (٤٩٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن النصيحة من الدين

### المطلب الثالث: التعايش السلمي بين الشعوب والقبائل

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٣

والمعنى: أيها البشر، إنا خلقناكم جميعاً من أصل واحد، من نفس واحدة، من آدم وحواء، فأنتم متساوون، لأن نسبكم واحد، ويجمعكم أب واحد وأم واحدة، فلا موضع للتفاخر بالأنساب، فالكل سواء، ولا يصح أن يسخر بعضهم من بعض، ويلمز بعضهم بعضاً، وأنتم إخوة في النسب.

وقد جعلناكم شعوباً (أمة كبيرة تجمع قبائل) وقبائل دونها لتتعارفوا لا لتتناكروا وتتخالفوا، والمقصود أن الله سبحانه خلقكم لأجل التعارف، لا للتفاخر بالأنساب وإن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن اتصف بها كان هو الأكرم والأشرف والأفضل، فدعوا التفاخر، إن الله عليم بكم وبأعمالكم، خبير بيوطنكم وأحوالكم وأموركم»<sup>(١)</sup>

فإذا نظرنا في كتاب الله قرآنه الكريم نجد أنه قد قرر أن العلاقة الأساسية بين الناس جميعاً هي السلم نجد هذا واضحاً في الآية أعلاه، وفي مطلع سورة النساء المتبدرة قوله سبحانه ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهذا النداء للناس بوصفهم بنى الإنسان كان السلم هو الحالة الأصلية التي تشيع المودة والتعاون الخير بين الناس، وكانت الدعوة إلى غير المسلمين بأنهم إذا سالموا كانوا سواء مع المسلمين في نظر أحكام الإسلام لأنهم جميعاً بنو الإنسان، ولم يجز الإسلام الحرب إلا لعلاج حالة طارئة ضرورية، وإذا كانت هذه هي منزلة الحرب في الإسلام فإنه يقرر بأنها إذا وقعت وجنح أحد الطرفين المتحاربين إلى السلم وجب حقن الدماء نرى هذا واضحاً وجلياً في قوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾

(١) التفسير المنير - الزحيلي (٢٦ / ٢٥٩)

فَاجْتَحِ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

، هذا حكم الله أنزله إلينا، وهو يميز لنا أن نتعاهد ونقيم المعاهدات مع غير المسلمين إبقاء على السلم أصلاً أو رجوعاً إليه بوقف الحرب وفقاً لمؤقتنا بمدة أو وفقاً دائماً، كما يجوز أن تتضمن المعاهدة مع غير المسلمين تحالفاً حربياً وتعاوناً على رد عدو مشترك.

**قال القرطبي:** إن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يتدبى المسلمون إذا احتاجوا عليه، وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وهادن قريشا عشرة أعوام حتى نقضوا عهده ثم قال وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة وبالوجوه التي شرحناها عاملة.

**ثم نقل قول الإمام مالك** رضى الله عنه فقال تجوز مهادنة المشركين السنة والستين والثلاث وإلى غير مدة<sup>(١)</sup>

لقد حدَّ الله تعالى في كتابه الكريم حدود العلاقة الإنسانية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ الحجرات: ١٣.

«في هذا النص يبيِّن القرآن الكريم أنَّ العلاقة التي يجب أن تكون السائدة هي التعارف، والتعارف تكون معه المودة والتعاون وإقرار السلام وإحياء التراحم. وإذا كان التعارف هو الأصل الجامع للشعوب والقبائل والأجناس، فالإسلام لازم من لوازمه، هو الأساس لكل تعارف، فلا تعارف يوجب المودة مع الخصام والتناحر، والتحارب. ولذلك كان الأصل في علاقات الدول بعضها مع بعض أو بعبارة أدق العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم لا الحرب، فالمسلم

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج - ٨ ص ٣٩ - ٤١

ينظر إلى من يخالفه نظرة الود الراحم، لا العداوة القاطعة، ولذلك يقول سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ آيَاتُنَا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ البقرة: ٢٠٨ - ٢٠٩.

وإذا قامت الحرب بين المسلمين المؤمنين بالقرآن، فإن الإسلام يتشوّف للسلم بيتغيه، ولا يريد الاستمرار في مذبحه، فإن مالوا للسلم أجهم المسلمون، ولو كانوا يتوقعون الخديعة، ما دامت لم تظهر أماراتها، بحسب الآيات أعلاه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهَا ﴿٦١﴾﴾ الأنفال ٦١ - ٦١ (١).

ويؤكد نفس المعنى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ البقرة: ٢٠٨ كما يتأكد التعايش السلمي بين الشعوب والقبائل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ يونس: ٩٩.

لم يجز الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار. ونحوه قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ أى لو شاء لفسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار» (٢).

«وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه إذ روي أنه كان حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت» (٣).

(١) المعجزة الكبرى القرآن ص: ٣٥٩.

(٢) الكشاف الزمخشري (١/٣٠٣).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي (٣/١٢٤).

«وقد أكدت الآيات أن اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبطة بحكمته، يقول الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۗ وَوَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَقْبُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة: ٤٨. (١)

كذلك في اتجاه التعايش مع غير المسلمين يأتي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا إِنَّمَا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْهِمْ وَوَحْدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٦.

«وهذه الآيات، وأمثالها من الآيات المحكمات، التي قامت على أساسها صلات المسلمين فيما بينهم وبين المجتمعات الإنسانية التي لم تدخل في الإسلام، سواء ما كان منها في ذمة المسلمين، أو كان في دار الحرب، أو خارج هذه الدار» (٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة.

«أما من لم يقاتلنا في الدين ولم يخرجنا من ديارنا فلا جناح علينا أن نبرهم ونقسط إليهم، ونعاملهم معاملة حسنة، وصدق الله (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] قيل: نسخها القتال، قال الطبري: لا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن بر المؤمن بمن بينه وبينه قرابة من أهل الحرب أو بمن لا قرابة بينه وبينه غير محرم إذا لم يكن في ذلك

(١) الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه (ص ١٣).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٥ / ٧٦٥).

(٣) التفسير الواضح (١ / ٤٢٣).

دلالة على عورة لأهل الإسلام. اه. (١).

ويؤخذ من هذه الآية جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان. فينبغي أن ننظر لاختلاف الشعوب والقبائل آية من الآيات كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِ وَاللَّوْنِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الروم: ٢٢ .

وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوع والتعدد، والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكل من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس (٢).

(١) التحرير والتنوير (٢٨ / ١٥٣).

(٢) الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه» (ص ١٣).

### المبحث الثالث: العصبية القبلية المذمومة

#### المطلب الأول: تعريف العصبية القبلية المذمومة وصورها:

وهي أن يغضب المرء لغضب القبيلة ولو كان غضبها لباطل، ويرضى لرضاها ولو كان عن باطل، وهذه هي حالة الجاهلية؛ عبّر عنها شاعرهم =  
دريد بن الصمة=، فقال:

وهل أنا إلا من غزيرة إن عوت وويت، وإن ترشد غزيرة أرشد.

وقول الآخر - أبو تمام:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا.

ومن السلبات بالغة الضرر احتقار المسلمين والآخرين لنسبهم المتواضع.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَمْرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَسْسُ الْإِسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ الحجرات: ١١

وكذلك يأتي قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ الهمزة: ١

فمتى ما انتفت هذه السلبات عن القبليّة أثمرت خيراً على المجتمع، فزادت بها وحدته، وقويت بها شوكته، وصلح بها أمره، ومتى اقترنت بها تلك الآفات كانت آثارها على المجتمع مدمرة وسيئة. السب والشتم بين القبائل والعائلات، والاتهام بالباطل للآخرين، والطعن في الأنساب لا يأتي إلا بالفتن، والضغائن والأحقاد والإحن، وهي من أمر الجاهلية،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).



عَنِ الْمُعْرُورِ بْنِ سُؤَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ...». البخاري (٣٠). هذا؛ لأنه قال له: (يا ابن السوداء)، وأمه حقيقةً سوداء، اعتبر ذلك من الجاهلية، فكيف بما هو أدهى من ذلك من أنواع التعيير؟! .

وثبت أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَزْكُرُهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ<sup>(١)</sup>" من رأيتومه يفخر بنسبه ويطعن في غيره فاعرفوا أن فيه من أمر الجاهلية. إنَّ احتقار الآخرين، والتعالي على إخوانك من المؤمنين، ليس من صفات أولياء الله المخلصين، ولا أحبائه المسلمين، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَعْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى؛ بُولَسَ! تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسَقَّوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ؛ طِينَةَ الْحَبَالِ»<sup>(٢)</sup>

لم يخلق الله قبيلةً ولا عائلةً، ولا شعباً ولا أمةً منزهةً عن الخطأ والزلل، ولم يجعل الله سبحانه شخصاً من الأشخاص، ولا فرداً من الأفراد، ولا ولياً من الأولياء، ولا صالحاً من الصالحين معصوماً مبرأً من العيوب والأخطاء، إلا الملائكة والرسول والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فيا أيها المحتقر غيرك! هلا تذكرت نفسك، وما فيها من عيوب وأخطاء!  
يا أيها الطاعن في الأنساب! لا تفتخر بنسبك على غيرك، فلربما كان أحد الأجداد كافراً!

(١) مسلم (٩٣٤).

(٢) «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». سنن الترمذي (٢٤٩٢) صحيح الجامع (٣١٢٩).

فهذا من دعوى الجاهلية التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: « وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟! ) قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ».

وقد حدث شجار بين الصحابة - رضوان الله عليهم - في المدينة يوماً فنادى كل فريق عشيرته وتوشحوا السيوف، فقال المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: ( دَعُوها فَإِنَّها مُنْتَنَةٌ<sup>(١)</sup> ) يقصد- القبيلة-

ويقرر مبدأ المساواة بين الناس على اختلاف درجات انتمائهم الأسري والقبلي، فهو يقول لأبي ذر - رضي الله عنه - حينما عيّر رجلاً بأمه الأعجمية: (إنك امرؤ فيك جاهلية)<sup>(٢)</sup>

ويذكرهم القرآن بالحقيقة العظيمة في آية التعايش بين الشعوب والقبائل، ويبين لهم أنّ القتل والقتال لا يكون إلا لغرض شريف راق وهو في سبيل الله وطريق الحق، فقال أيضاً صلى الله عليه وسلم -: (ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّةٍ؛ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ؛ فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةً)<sup>(٣)</sup>

المطلب الثاني: محاولات الأعداء للاستفادة من القبيلة في تفتيت وحدة الأمة:

أولاً: استهداف اليهود لوحدة المسلمين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ..... إلى قوله: وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ آل عمران: ١٠٠ - ١٠٥ .

(١) صحيح البخاري (١٥٤/٦) (٤٩٠٥).

(٢) صحيح البخاري (١٥/١) (٣٠).

(٣) - المنذري، زكي الدين عبد العظيم، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين

الألباني، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٠ م، ص: ١٩.

سبب نزول هذه الآيات قصةً عبرة تبين قَدَم، واستمرار كيد، وعداوة أهل الكتاب للمسلمين:

قال زيد بن أسلم: إن شاس بن قيس اليهودي - وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين - مر على نفر من الأوس، والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون، فغاضه ما رأى من ألفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، قال: قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار، وكان بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل وتكلم، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا... (١) .

بعد الرجوع إلى كتب التفسير تبين لنا الكثير من الهدايات القرآنية، التي تتعلق بموضوع البحث منها بحسب الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾:

١- أن بعض الناس ممن كان بعيداً عن الله يريد أن يوقع الفتنة بين المؤمنين فلا يسعده أن يرى أخوين متفاهمين متحدين إلا فيثير حفيظتهما وهذا من فعل الشيطان فإنه يفرق بين المرء وزوجه والأخ وأخيه والجار وجاره وغير ذلك (٢).

٢- فيها حرص الكفار على تفريق المسلمين، وإفساد ذات بينهم، وهو منصوص في سبب النزول.

٣- فيها النهي عن طاعة الكفار في أمر المسلمين، وهو مستفاد من سبب النزول.

(١) ينظر: معالم التنزيل، البغوي (٧٥/٢).

(٢) تفسير النابلسي (١٤٦/٢)

٤- أن طاعة الكفار مخالفة للإيمان؛ لقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فتكون طاعتهم مخالفة لكمال الإيمان، وقد تصل إلى انتفاء الإيمان بالكلية<sup>(١)</sup>.

٥- في الآية تنبيه على أهمية الحذر من مكائد اهل الكتاب، ولهذا سيقى بالشرط للدلالة على العناية والتشويق. ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

٦- في مناسبة الآية لسابقتها أن الله عز وجل حذر المؤمنين من فتنة أهل الكتاب بهذه الآية فذكر وسائل الثبات على الدين والعصمة من الفتنة.

٧- الحث على الاعتصام بالله وأن الاعتصام بالله تعبداً واستعانة والامتناع بقوته ورحمته عن كل شر والاستعانة به على كل خير هو العمدة في الهداية والعدة في مباحة الغواية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وموصل لصاحبه إلى غاية المرغوب<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٨- في هذه الآية والآيات السابقة التي حذرت من طاعة أهل الكتاب إشارة إلى أن الأعداء من أهل الكتاب يريدون للمسلمين التفرقة، وسياستهم قديماً وحديثاً تؤكد ذلك، ومن القواعد التي يتكئون عليها قاعدة (فرق تسد).

٩- فيها أن الاعتصام بحبل الله وترك التفرق، وتذكر نعمة الله بالهداية للإسلام وشكرها كل ذلك من حق التقوى.

(١) تفسير ابن عثيمين (١/٥٨٣)

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٨٦)، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي

(١٤١)، وتفسير ابن عثيمين (١/٥٨٥).

١٠- فيها الحرص على الاجتماع والحذر من التفرق؛ فالاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله ﷺ، فمن أكبر نعم الله على الأمة أن يؤلف بين قلوبها بالاجتماع وعدم التفرق؛ فاجتماع الأمة الإسلامية عصمة لها، وفي التفرق زوال الوحدة التي هي معقد العزة والقوة<sup>(١)</sup>.

١١- فيها النهي عن التفرق والاختلاف في الدين، ويدخل فيه النهي عن التنازع واختلاف ذات البين؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فلم يذكر معموله فأفاد العموم.

١٢- تحريم التفرق في القلوب، أما التفرق في الأبدان فضروري أن يتفرق الناس كل الآن في بيته وفي الأقوال أيضاً يتفرقون وما أكثر الخلاف بين أهل العلم قديماً وحديثاً في المسائل العلمية، لكن الذي يجب على المسلمين أن يبعدوا عنه، هو التفرق بينهم في القلوب لأنه هو الذي عليه المدار ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) (٢) (٣).

١٣- أن نتيجة التأليف أن يصبح الناس إخواناً كالأخ مع أخيه تماماً، بل "إن الروابط الدينية أقوى من الروابط النسبية"<sup>(٤)</sup>. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥].

١٤- تفيد التحذير من التفرق، والاختلاف، والأهواء وهي من صفات أهل الكتاب: اليهود، والنصارى، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ والمقصود

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٣١٧/٨)، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٨٥/٢٢)، وتفسير المنار، محمد رشيد (١٧/٤-١٨).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وأقامتها وفضل الأول فالأول رقم (٤٣٢) (٣٢٣/١).

(٣) تفسير ابن عثيمين (٦٠٠/١).

(٤) تفسير ابن عثيمين (٦٠٤/١).

تفرق القلوب لا الآراء لأن تفرق الآراء أمر لا بد منه؛ لأن الناس يختلفون في العلم والحفظ والفهم والإيمان والعمل، وكل هذه الأمور الخمسة من أسباب اختلاف الناس، لا يمكن أن يتفق الناس في الرأي لكن الواجب اتفاق القلوب<sup>(١)</sup>.

١٥ - أن التفرق بعد أن تبين الحق أشد قبحاً من التفرق حين خفاء الحق، يؤخذ من قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وذلك لأنه إذا جاءت البينات واتضح الحق فلا وجه للتفرق، لكن إذا كان الحق خفياً فقد يحصل التفرق، والحق - والله الحمد - في هذه الشريعة واضح بين؛ لأنه في كتاب الله المحفوظ إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

١٦ - فيها تنبيه على أن الاختلاف يؤدي إلى الافتراق، والاختلاف المذموم هو: ما وقع فيه أهل الكتاب؛ حيث اختلفوا في الأصول، والعقائد<sup>(٣)</sup>.

١٧ - وفيها إشارة إلى أن الاختلاف المذموم، الذي يؤدي إلى الافتراق، هو الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً، أو تفسيقها، وهو دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو المعبر عنه بالاجتهاد، ووجهه أنه تعالى قدم الافتراق على الاختلاف للإيذان بأن الاختلاف علة التفرق، وهذه من الهدايات المستنبطة من ترتيب الكلام وذكر الأشياء مع مقارنتها<sup>(٤)</sup>.

١٨ - أن في الاجتماع والوحدة يسود الإسلام وتحصل الطاعة بأوامر الله وذلك بالعمل بآيات الله البينات ومخالفة أهل الكتاب فتتحقق بذلك مقاصد الدين، ولهذا يؤكد عليها القرآن ويركز عليها مرة بعد أخرى.

(١) ينظر: تفسير ابن عثيمين آل عمران (٢٤/٢)

(٢) تفسير ابن عثيمين آل عمران (٢٥/٢)

(٣) ينظر: الجامع في الهدايات القرآنية (١٦٨/٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨٤/٣).

١٩ - تفيد أن التفرق، والاختلاف، والأهواء من أسباب العذاب العظيم في الدنيا، والآخرة، ووجهه في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) وهو إشارة إلى سر سقوط الأمم، وذلتها والتعرض لمحاولة الغزو من الطامعين والمستعمرين وما ذلك إلا بسبب التفرق، فيسلط الله من يعذبهم في الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية.

### استهداف المنافقين لوحدة الصف المسلم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨.

أخرج البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول: لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا. وقال أيضاً: لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأرسل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكذبني، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) إلى قوله (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) إلى قوله (لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ).

فأرسل إلي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقرأها عليّ، ثم قال: (إن الله قد صدقك)<sup>(١)</sup>. قد كان عبد الله ابن أبي ابن سلول سعى لاستغلال الموقف، وتوسيع الشقة حينما تشاجر فتى من المهاجرين مع فتى أنصاري فضربه وجعل

(١) المخر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراسة، خالد بن سليمان المزني، دار ابن الجوزي، الدمام ط ١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) (١٠/١٠١٦).

الأنصاري ينادي: يا آل خزرج، ونادى المهاجر: يا آل قريش، يا آل كنانة، فاجتمع كلا الفريقين بالسلاح وكادت أن تقع فتنة، خاصة وأن ابن أبي نضس وقال عن المهاجرين: " قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا وأنكروا منتنا"<sup>(١)</sup>.

إذن أهل الكتاب وغيرهم من الكافرين وإخوانهم المنافقون يشكلون خطراً عظيماً على وحدة الأمة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ عدة قرارات ومارس مختلف السياسات لتأمين المجتمع من خطر الكافرين والمنافقين.

المطلب الثالث: المعالجات النبوية والنماذج العملية لتجاوز القبيلة.

أبرز هذه المعالجات:

- ١- غير اسم يثرب إلى المدينة، وقال: (أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ يَقُولُونَ: (يثرب)، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديث)<sup>(٢)</sup>.
- ٢- دمج القبائل الوافدة والمهاجرة للمدينة من قريش وغيرهم في فئة واحدة سماها (المهاجرون)، وأصبح الاسم الرسمي لهم فيما بعد، ونزل به القرآن وذكره النبي في أحاديثه.
- ٣- دمج الأوس والخزرج سكان المدينة الأصليين في اسم واحد هو (الأنصار)، وصار اسماً رسمياً لهم، نزل به القرآن وورد في الأحاديث النبوية. وفي غزوة بدر يجعل شعار المهاجرين الذين ينادون به في القتال (بني عبد الرحمن)، وشعار الخزرج (بني عبد الله)، وشعار الأوس (بني عبيد الله)<sup>(٣)</sup>؛ حتى لا ينادي كل أحد باسم قبيلته وعصبته، ويتوحد الجميع على اسم الله عز وجل.

(١) ابن هشام، مصدر سابق، ص: ٥٠١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: المدينة تنفي شرارها، حديث رقم: ٣٤١٩

(٣) الواقدي، مصدر سابق، ٤١٦/ ٢



٤- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو الدمج الثاني بين الفئتين: الداخلة والمستضيفة، وهذا التأخي قائم بين شخصين: مهاجر وأنصاري، تحت رابط الأخوة الإيمانية، ونتج عن هذه الأخوة مؤاسة وتكافل، وأصبح من حق كل أخوين في هذه المؤاخاة أن يرث أحدهما الآخر بعد موته دون ذوي الأرحام<sup>(١)</sup>، قد حفظ هذا الدمج بين الجماعات القبلية وحدة المسلمين من التصدع، لأن المجتمع القبلي قائم على مبدأ الجماعات المتعارضة والمتصارعة، فأزال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسباب هذا التصادم الطبيعي بهذه المؤاخاة.

والنبي صلى الله عليه وسلم يتجاوز القبيلة عملياً ببناء المجتمع النموذجي، للأمة المسلمة، فالصف الأول فيه أبوبكر القرشي وبلال الحبشي، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي يقدمون الإسلام على الوالد والولد والأخ، والعشيرة، منطلقين من قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ المجادلة: ٢٢ .

في الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته. قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة . وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: "ولو كانوا آباءهم" يعني: أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد "أو أبناءهم" يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر

(١) سالم السيد عبد العزيز، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ت، ص: ٩٥ .

إلى البراز وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر "أو إخوانهم" يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد "أو عشيرتهم" يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلياً وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة .

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصه، وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ قواهم بنصر منه. قال الحسن: سمى نصره إياهم روحاً؛ لأن أمرهم يجيا به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع: يعني بالقرآن وحجته، كما قال: "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" (الشورى - ٥٢) وقيل برحمة منه. وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام<sup>(١)</sup>.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

(١) تفسير البغوي (٦/٨)

## الخاتمة

وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

وأهم النتائج تتمثل في أبرز الهدايات المستنبطة من الآيات الواردة في البحث.

١. الاعتراف بالقبيلة وجعلها لبنة في إطار الأمة الواحدة
٢. اختلاف الشعوب والقبائل يفيد براعة الصانع إذ إن الأصل واحد والنتائج متنوع في الأجناس والأصناف والألوان والألسنة.
٣. لا تفاضل بين الناس في أصل الخلق والمنشأ وأن استقرار هذه الحقيقة كفيل باستبعاد الصراع العنصري الذي ذقت البشرية ويلاتة وما زالت تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة
٤. اختلاف البشر في شرائعهم واقع بمشيئة الله.
٥. اختلاف الشعوب والقبائل للتعارف والتآلف والتعاون والتراحم وليس للمفاخرة والمباهاة والاحتقار والإحتراب .
٦. التوجيه ومعاملة أهل الذمة بالإحسان مالم يقاتلونا في الدين ويخرجونا من ديارنا و يظاهروا على إخراجنا.
٧. ذم الكبر على الآخرين ما دام الجميع قد خلقوا من نفس واحدة
٨. احتقار الآخرين والتعالي عليهم باب من أبواب جهنم
٩. التعبير على أساس الأنساب من شأن الجاهلية
١٠. السب والشتم والطعن في الأنساب بين القبائل لا يأتي الا بالفتن والأحقاد والاحن.
١١. التعصب القبلي المذموم قد يقود الى الإحتراب والافتتال.
١٢. الفرقة والشتمات من بعد ما تبين الحق اشد قبحا وباب وأبواب الوعيد
١٣. التفرق المحرم في القلوب وليس في الأبدان

١٤. اليهود والمنافقون في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم مستهدفون لوحدة هذه الأمة.

١٥. اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم عدة قرارات وانتهاجه مختلف السياسات لتجاوز القبيلة.

١٦. وجوب تقديم الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين على الآباء، والأبناء والاقوان والعشيرة.

١٧. تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته عملياً أمر القبيلة الى رحاب الاسلام الأول.

١٨. الاعتصام بالله هو العمدة في الهداية والعدة في مباحة الغواية والوسيلة الى الرشاد وطريق السداد.

١٩. بالاجتماع والوحدة يسود الاسلام وتحصل الطاعات ويسعد البشر

#### التوصيات:

١. التوعية الدينية عبر مختلف وسائل التواصل والاتصال بالحكمة والغاية من اختلاف الألوان والألسنة.

٢. التوعية المستمرة بالثمرة الكبرى للتعايش السلمي بين الشعوب والقبائل وأثر ذلك في السلم الاجتماعي والاستقرار والتنمية.

٣. استهداف كافة مكونات الشعوب والقبائل ببيان التعصب المذموم وعاقبته

٤. التحذير المستمر من استهداف أهل الكتاب والمنافقين ومن يسايرهم لوحدة الأمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد  
و على آله و صحبه أجمعين.